

ضرورة إقرار الذمة المالية قبل وبعد شغل الوظيفة



الخميس 27 فبراير 2014 12:02 م

الشيخ جعفر طالحاوي :

إن ولي الأمر في كل أمة ، عقدة نظامها وقوامها ، وملاك أمرها ، وحرزها ، وكهفها، ومعقلها الذي يلجأون إليه، شهابها الساطع ، ونجمها الثاقب، وبدرها الطالع، وسهمها النافذ، فإذا فسد فمن يصلح ومن أين يكون الصلاح؟؟!!

كنْتُ من كربتي أفزع إليهم فهم كربتي فأين الفرار؟
إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.

(إذا ما اللّحم أنتن ملحوه..... وتنن الملح لئس له ذواء)

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

من بالغ الدروس، وأعاجيب أحداث عالمنا العربي المعاصر، أنك ترى تضخما في ثروات رعاة هذا العالم العربي ، وعجزا مريعا في ميزانيات دولهم، لم يعرف قانون من أين لك هذا سبيلا إلى تشريعاتهم ، ولم يضرب على وتر قلوبهم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- "لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع عن عُمره فيما أفناه؟ وعن عِلْمِهِ ما عَمِلَ به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟" [1]، ولا استشعرت قلوبهم حديث النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بِذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ» [2] وقد قال تعالى "وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" [3].. لو أنه تتم محاسبة هؤلاء ، لما تم نهب وسلب ثروات الأمة ، حتى تتجمع في أيدي شريحة ، بينما عامة الشعب يتضورون جوعا ، ويفترشون الحرمان، ويلتحفون العراء ، وكان لسان الحال عند ضيق الصدور وبلوغ القلوب الحناجر من مثل هذه المظالم

إن كنت لا ترضى بما قد ترى فدونك الحبل به فاختنق

وفي الحديث الصحيح من تقرير مبدأ المحاسبة في الدنيا - قبل القيامة - ما يضع حدا لهذه الجرائم : عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ الشَّاعِدِيِّ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنُ الْأَثْبِيِّ، فَلَمَّا جَاءَ خَاسِبُهُ قَالَ: هَذَا مَا لَكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةُ مُحَمَّدٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "فَهَلَّا جَلَسْتُ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمَّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟" ثُمَّ خَطَبَنَا مُحَمَّدٌ اللَّهُ وَأَنْتَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مَعًا وَلِأَنِّي اللَّهُ، فَيَأْتِيَنِي فَيَقُولُ: هَذَا مَا لَكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةُ أَهْدَيْتُ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَخَذَ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا لَقِيَ اللَّهُ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا عَرَفَ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهُ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رِغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا حَوَالٍ، أَوْ شَاةٌ تَجْعَلُ." ثُمَّ رَمَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟" بَصُرَ عَيْنِي، وَسَمِعَ أُذُنِي. [4] شعوبهم لهم بالمرصاد ، ومن فوق الشعوب رب العباد، " إن ربك بالمرصاد" [5]

كتب علي بن أبي طالب إلى ابن عمه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم- واليه على البصرة :

أما بعد، فإنه قد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت الله، وأخزيت أمانتك، وعصيت إمامك، وختت المسلمين بلغني أنك جردت الأرض وأكلت ما تحت يدك، فارع إلي حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام [6]. وما تردد في الآونة الأخيرة من

زيادة ثروات بعض هؤلاء الرعاة الطغاة - زيادة فاحشة ، تكفى لسد العجز في ميزانيات دولهم ، بظهور هذه الثروات الخيالية فطنت الشعوب ، كيف أصاب ميزانيات دولها العجز مع كثرة الموارد، وتنوع وتعدد مصادر الدخل لإيرادات الدولة. هذا ذكرنا بما ورد، في أدبيات تاريخنا العربي من أن معاوية خطب يوما فقال: إن الله تعالى يقول: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ " فعلام تلوموني إذا قُصِّرْت في عطاياكم؟ فقال له الأحنف بن قيس: وإنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه[7]. ترى أليس هذا حال كثير من رعاة وطننا العربي؟؟؟؟!!!! ولذلك لا بد من المساءلة العادلة ، والمحاسبة المسؤولة ففي الحديث "أَلَا كُنْتُمْ رَاعٍ، وَكُنْتُمْ مَسْوُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْوُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْوُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَيْتِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْوُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْوُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُنْتُمْ رَاعٍ، وَكُنْتُمْ مَسْوُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[8]." بالله قولوا لي : ماذا عساه أن يكون في نفس الرعية وهي تتضور جوعا، بينما رعاتها ، تكاد يقتلها البشم والتخمة، أين العدل وأين الشورى، وأين العدالة الاجتماعية؟؟!!! ذكرت كتب التاريخ أيضا أنه قد أصاب القوم مجاعة في عهد هشام بن عبد الملك ، فدخل إليه وجوه الناس من الأحياء، وفي جملتهم درواس بن حبيب العجلي وعليه جبة صوف مشتمل عليها بشملة قد اشتمل بها الصماء، فنظر هشام إلى حاجبه نظر لائم في دخول درواس إليه، وقال: أيدخل عليّ كل من أراد الدخول[] وكان درواس مفوّهًا فعلم أنه عناه، فقال درواس: يا أمير المؤمنين ما أخلّ بك دخولي عليك ولقد شرفني ورفع من قدري تمكني من مجلسك، وقد رأيت الناس دخلوا لأمر أعجموا عنه، فإن أذنت في الكلام تكلمت، فقال هشام: لله أبوك تكلم، فما أرى صاحب القوم غيرك، فقال: يا أمير المؤمنين تتابعن علينا سنون ثلاث، أما الأولى فأذابت الشحم، وأما الثانية فأكلت اللحم، وأما الثالثة فانتقت المخ وصمّت العظم، ولله في أيديكم أموال، فإن تكن لله فأعطفوا بها على عباد الله، وإن تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم، وإن تكن لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين[] فقال هشام: لله أبوك ما تركت واحدة من ثلاث، وأمر بمائة ألف دينار فقسمت في الناس، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين أكل رجل من المسلمين مثلاً، قال: لا ولا يقوم بذلك بيت المال، فقال: لا حاجة لي فيما يبعث على ذكّك، فلما عاد إلى داره أمر بذلك فبعث إليه فقسم تسعين ألف درهم في تسعة من أحياء العرب، وحبس عشرة آلاف درهم فبلغ ذلك هشاماً، فقال: لله دره إن صنيعه مثله تبعث على الاصطناع[]

[9].

ترى هل يصنع أفراد أنظمة الأحزاب الحاكمة في ديارنا، ما كان يصنع سمحاء هذه الأمة عندما كان يغدق عليهم الولاة العطايا والهبات، أم أن أفراد الحزب الحاكم، تجوع الشعوب ليشبعوا، وتعري ليكتسوا، وتظمأ ليرتووا، ومن عجيب أنهم يستخفون بهذه الأموال من الناس ،"يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً"

[10]. نخلص من هذا كله إلى درس بالغ من الدروس المهمة من أحداث الأمة ، هو ضرورة تقديم كل موظف كبر أو صغر ، إقرارا بذمته المالية عند شغله لوظيفة من وظائف الدولة وعند تخليه أو تركه لها إقالة أو استقالة ، فهلا اتخذت وزارة المالية من الاجراءات ، ما يجعل هذا في حيز التنفيذ، وهلا أصدرت المجالس التشريعية - بغرفتيها (النواب ، الشيوخ) أو (الشعب ، الشورى) أيا ما كانت التسمية - يصدر عن المؤهل أو الفاعل منهما من القوانين والتشريعات ما يجعل هذا معيارا للنزاهة، وسياجاً ومحصناً ، ومرشداً للكفاءة والترقية إلى الأعلى من الوظائف والمناصب والمراكز ، يتم من خلاله الكفكفة أو التقليل لأظافر من تمتد أيديهم إلى المال العام ، والأخذ على أيديهم بيد من حديد لتسود الأمانة ، وتشيق الثقة وحتى لا تكون الوظائف العامة مغنا ، ومرتعاً ممرعاً للسلب والنهب ، هذا وللحديث صلة بحول الله وقوته[] ومنه وحده العصمة من الزلل والخطأ والخلل في القول والعمل[]

[1] أخرجه الترمذي في سننه في صفة القيامة باب رقم (1) حديث رقم (2419) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال[]

[2] أخرجه أبو داود في سننه في الخراج والإمارة باب في أرزاق العمال رقم (2943) وإسناده صحيح

[3] آل عمران:161

[4] صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِكْرَاهِ . باب اِخْتِيَالِ الْعَامِلِ لِيُهْدَى لَهُ.صحيح مسلم كتاب الإمارة .باب تحريم هدايا العقّال.

[5] الفجر: 14

[6] [العقد الفريد 5/ 103]

[7] المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 70)

[8] صحيح مسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحثُّ على الرِّفق بالرَّعية، واللَّهي عن إدخال المشقَّة عليهم. سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة باب ما يلزم الإمام من حق الرعية.

[9] عيون الأخبار (2/ 366): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 626):

[10] النساء{108}